

عجوة بيض

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

—

— بان . هات خمسة قروش !

— يا أخي ، قل صباح الخير أولاً

— آه ، صحيح ، طيب صباح الخير ، هات بقى !

— سبحان الله العظيم ! ألا تنتظر حتى أرد عليك هذا

التصحيح بالخير ؟

— طيب ، رد

فأتلكأ — أهن رأسي أسفاً ، وأممصص بشفتي متعجباً ،
وأقلب كفي ، ولكن هذا كله له آخر فيعود اللعين إلى المطالبة
بالقروش الخمسة ، فأسأله : « هل يليق أن تصبح أباك — على
الريق — بطلب فلوس ؟ »

فيتمجج لي كيف أقول إن هذا غير لائق ، ولا يستطيع
أن يفهم أن ابتداء يوم جديد يتناق من المرجح أنه في غير محله ،
صعب على النفس جدًّا ، فأقول له : « إنتظر ، حتى تكبر وتعرف
بالتجربة »

فيصيح : « يا خبر أبيض ! انتظر حتى أكبر ؟ لا يا بابا ، أنا
مستمجج ، وقد وبخني العلم أس »

فأسأله السؤال الذي كان ينبغي أن ألقيه عليه في بداية الحوار :
— لماذا تريد خمسة قروش ؟ ماذا يمكن أن يصنع طفل
مثلك بخمسة قروش ؟

فيقول : « أشتري بها كتاب المطالمة الانجليزية »

فأسأله مرة أخرى : « أو لم تعطك المدرسة كتاباً ؟ »

فيقول : « تقطع ولم يبق صالحاً للاستعمال »

— ولماذا تقطعه ؟

— لست أقطعه ، هو تقطع !

— تكلم بمقل ، كيف يقطع الكتاب نفسه ؟

— لم يقطع نفسه ، ولكن العلم يأمرنا أن نطويه ، فيبلى ،

ويتمزق ، ويتمزق

— هل نعلم أي كنت تلميذاً مثلك ؟

١٢٠٧

— لا ...

— لا ؟ كيف تقول لا ؟

— طيب أعلم — إنما عيت أني لم أرك ولم أكن معك —

هات بقى ثمن الكتاب

— وأنا إنما أعنى أني لم أحتج في حياتي المدرسية كلها أن

أشتري كتاباً مدرسياً لأن كتي لم تكن تتقطع وكانت لا تبلى أبداً

فيضحك الخنزير ويقول : « لا مواخذة بابا ، ولكن يظهر

أناك كنت تلميذاً كسلان »

فأضحك مثله وأزعم أنها نكتة ، ولكن الواقع أنها أصابت

الحز ، ووقمت على الفصل ، فما أعرف من زملائي في عهد الدرس

والتحصيل من كان أبلد مني أو أشد كسلًا . ولا أدري كيف

كنت أنتقل من فرقة إلى فرقة ، وأحسبهم كانوا يؤثرون أن

يجبروا خاطري ويترفقوا بضعف . ولما أتمت التعليم — أي فرغت

من المدارس — وجدت عندي صفوفًا من كتب الدراسة نسجت

عليها المناكب بيوتًا وقصوراً ، وقد أخذها مني صديق ، وأعطاني

بدلاً منها كتاب (الشعر والشعراء) أو (طبقات الشعراء) لابن

قتيبة ، طبعة ليدين . وقد بعث هذه أيضاً بشمن غير بخس في جملة

ما بعث من الكتب

* * *

ويدخل اللعين الثاني أو الأكبر فيقول بلا تمهيد ، ولا تصحيح

« اكتب هذه البيانات المطلوبة هنا على هذه الورقة ، وسأخذ

من جيبك ستة قروش ، ثلاثة لرحلة إلى الحرم ، وواحدًا يبقى مني ،

ونصف قرش هو مصروفي ، وقرشًا ونصف قرش ثمن برجل

وعلبة ألوان »

فأصيح به « تأخذ من جيبى ؟ من أدبك هذا الأدب ؟ ماما ؟ »

فيقول « لا ، إنما أريد ألا أحوجك إلى التماس من السرير

فإن الجو بارد »

فأقول « متشكر ، يا سيدي ، ولكن ما هذه البيانات الجديدة

التي يطلبونها ؟ شيء بارد ! »

وتدخل « ماما » في هذه اللحظة ، قسأل عن هذا الشيء

البارد ماذا عسى أن يكون ؟ فأقول

« صباح الخير أولاً يا ماما ، يا نور العين ، ثم إنى أرى كل شيء »

بارداً في هذا اليوم المبارك إن شاء الله — لا أحد يصبحني بالخير، وكل من يدخل علي يقول هات، ولم يكن ناقصاً إلا أن تسألني المدرسة عن عمري، كأني تلميذ فيها، ولست أستغرب أن تسألك غدًا عن سنك يا امرأة، فانتظري، وأعدى الجواب من الآن، وقد أعذر من أنذر!

وأرفض أن أعطي الولد نفقات الرحلة قبل أوانها بثلاثة أيام، وأرفض أن أذكر للمدرسة عمري — لا حرصاً مني على كتمان ذلك — بل لسببين أولهما أنني لست تلميذاً بها، فلا شأن لها بي وبعمري؛ وثانيهما أنني لا أحب أن أشجما على هذا الفضول مخافة أن تسأل بعد ذلك كم سن امراتي! وأحدث نفسي وأنا أنطق بعبارة الرفض أن من الواجب أن يكون المرء حازماً في بيت كهذا

فتقول امراتي « ولكنني أعتقد أنك لن ترفض أن تعطيني مائة وعشرين قرشاً؟ »

فأنت من السرير إلى الأرض وثبة ليت مصوراً كان حاضراً في رسمها فأبها حركة رياضية بديمة، يرى فيها اللحاف، وتطوى الساقان، ثم تدفعان في الهواء وسائر الجسم وراءها،

دين يزعمنا العلي

نفسى بطبيعتها لا تنزع إلى ترف الحياة. ولقد عشت إلى وقت قريب ضالاً. ليس لي بيت مستقر ولا راحة موفورة. ولا حتى مكتبة خاصة تعينني على عملي الأدبي. إلى أن أب أوهمني بعض الناس أن مكاتب كاديب تقتضى أن أغير هذه الحياة. فأصنيت إلى هذا الكلام واتخذت لي مسكناً أيقاً في أجمل بقاع القاهرة يشرف على النيل. واقتنيت سيارة جميلة، وجعلت لي مكتبة تزينا التحف والتماثيل. وأكثرت من حولي الخدم بمنون بأمرى. وأعجبتني قليلاً مظهرى هذا الذى يماثل مظهر أدباء أوروبا المشاهير. وغرني الحال. وحسبت أننا نتمتع في الشرق بمثل ما يتمتعون من قوة وحرية ومنعة. فانطلق قلبي مرة يدي رأياً صريحاً في مسألة قيل إنها تمس السياسة. وإذا أنا أقع فريسة لإجراءات مهينة، فالتفت يميناً وشمالاً أبحث عن عالم الأدب يتولى الدفاع، لا عنى، بل عن حرية الفكر المهذرة. فلم أجد أحداً من الأدباء قد تحرك. ولم أر صحيفة قد مها الأمر. وخرست كل تلك الجرائد التي طالما رفعت صوتي على صفحاتها، وانفق الكلي اتفاقاً طبيعياً على إهمال الموضوع. ولم يحفل أصدقاؤى ولا زملاؤى ولا قرأنى بما حدث لي. ولم يدركوا الخطر الذى يهدد الأدب والأدباء إذا هم شعروا يوماً أنهم لا يستطيعون أن يخرجوا ما في نفوسهم. (أديب واحد كبر عليه الأمر وأدرك الخطر ونهض في قلق يحادث المسؤولين ويناقشهم، هو كاتب عظيم يعد نخر أدباء الشرق في العصر الحاضر. وصدائته لي معروفة من زمان، وإن كنت مع الأسف لم أقدرها قدرها في كل الأحيان) على أن الحادث في جلته قد هز عقيدتي في منزلة الأدب وخصني لاقى شخصي، ولكن في مراكز الأديب في الشرق، فقد أبقت أن ما يسمونه « المكانة الأدبية » إنما هي وهم من الأوهام. وأن الأدباء أنفسهم هم المسئولون في أكثر الأحوال عن انخفاض شأنهم في المجتمع لئلا يعضهم بعضاً وأحسست من نفسي الدلة، فتركت سكنى وسياراتى وخدمى، وعدت من جديد أعيش شريداً، كما يستحق أدب في الشرق أن يعيش. توفيق الحكيم

ثم إذا أنا واقف على الأرض، لم يتحطم رأسي، ولم يصبني سوء. ولم أكن أعهد في نفسي هذه القدرة، ولكن الوقت ليس وقت الإعجاب بالذات

وأصبح « مائة وعشرين قرشاً؟ أتقولين مائة... »

فتشير إلى أن مهلاً، مهلاً، وتساؤلى « مالك تصيح هكذا؟ ماذا يقول الجيران إذا سموك؟ »

فلا أكف عن الصياح وأنا أقول « الجيران؟ ليقولوا ماشاءوا ولكن اعلمى — أنت وهم أيضاً — أنى مستعف... مستقيل... »

فتضحك... أى والله تضحك... وتساؤلى « من قال لك افتح بيتاً؟ »

فأرد عليها بقوة « ومن قال لك إن البيت بالوعة؟ لا ياستى أنا مستعف... مائة وعشرين قرشاً؟ يا خبر أسود! »

فتلاطفنى وتقول « اسمع، اسمع، وكن حليماً... »

فأسألها مقاطعاً « خبرينى أولاً من الذى قال لك إنى أنفق مما أجد تحت السجادة؟ أو إنى من أهل الولاية وأصحاب الكرامات الذين يعد الواحد منهم يده من النافذة فإذا فيها أصبع من الموز؟ »

فتنهض وهي تقول « ومعدتك ! »

فأقول « سننظر في أمرها فيما بعد . وأحسب أني لن أعدم طبيياً يستطيع أن يسكن آلامها . أتمرفين أنه يخطر لي أن الطب قد أخفق لأنه لم يستطع إلى الآن أن ينبتنا عن المعدة ؟ فليت هناك دكانا تباع فيه أعضاء جديدة من الجسم تركب له وتتخذ بدلا من التي تلفت ، على نحو ما تباع قطع السيارات ! إذن لو سئني أن ألهم كل ما في هذا الطبق الشهى . ولكن آخ ! » وأجدني أكلهم نفسي ، فألتفت مستغربا ، وإذا بها تعود ويدها مبسوطة بمائة وعشرين قرشا فأهز رأسي وأسألها

« ما حاجتك إلى كل هذا ؟ »

فتخبرني أنها دعت « أم أحد » وأنها تنوي أن تكلفها شراء ثياب لكسوة الخدم ، فقد آن ذلك جدا ، وقد اختارت أم أحد لأمها من أختي عليهن الذي أختي علي من نيت اسمه - آه لبد ، ياله من اسم ! - فهي تحب أن تكمل إليها أمر الشراء لتكسب قرشين ، فإنها تأتي الصدقة .

فأهز رأسي موافقا ، ثم أنهض عن المائدة راضيا وأقول لها بابتسامة عريضة : « مائة وعشرون قرشا تمنأ لا كلة عجوة بالبيض ! لست أراه باهظا جدا ... لا بأس ! لا بأس ! سيرزقنا الله من حيث لا نعلم ، فلا تخافي ، وأنفق ما في الجيب يأت ما في الغيب

ابراهيم عبد القادر الملازي

لهم والكبير

كتبه علمي مصر على راحة يده
لقل انسان ملك اصول على
سزومه كمانا ارا سلب لهما
الاعلام سزومه سزومه الى
جذالهم بدموعهم ص ٢١٥

أو أن عندي آلات لتزييف النقود ، أو إني ابن روكفلر ، وبيروت مورجان وروتشلد مما ؟ هه ؟ أجيبي أولا ؟ »
فلا تجيب ، لأنها تضحك مستخفة بأن أجد نفسي كل صباح - على ريق النفس - مطالباً بمخمسات القروش للخزير الصغير ، وستاتها للخزير الأوسط ، ومثاتها ...
وتقول « ألا تسمع ؟ لماذا تأتي أن تسمع ؟ »
فأقول « لأنني مستغف ... هذا هو السبب ... وسألبس ثيابي وأخرج ولا أرجع »

فتقول وهي تقاب الضحك « ألا تفطر أولا ؟ لقد أوصيت لك ببيض مقلي بالمعجوة ، وعصرت لك - الآن ، بيدي هاتين - أربع ليمونات حلوة ، - تمال أظفر أولا ... وتكلم على الطعام » ترى ماذا أغري آدم بمطوعة حواء ؟ كيف وسما أن تجره من أنفه وتدس في فمه الواسع - لا بد أنه كان واسعا - التفاحة المحرمة ؟ أتراني ورثت عنه هذا الحب للبيض المقلي بالمعجوة ، وعصير الليمون الحلو ؟

لا أدري ؟ ولكني أردت أن أشيح بوجهي عنها ، لأقوم بإغراء ما تصف ، وأغالب سحره ، فطالعتني وجهي في المرأة ، فإذا هو يتسم ، وما كان يستغني بعد أن عرفت أني أبتسم ، أن أظل متجهما .

وجلسنا إلى السفرة وشربت عصير الليمون ، فشاع الاغتباط في كياني ؛ وجاء الطبق وفيه البيض والمعجوة ، ففركت يدي ، ودفعت طبقي إلى امرأتني وقلت : « الله يرضى عنك يا امرأة ! هاتي ! هاتي ! وليسخط على الأطباء ما شاءوا وما وسعهم السخط ؛ وليرعوا أني أزيد معدتي تلقا ، فإباليهم ، أو أحفل مشوراتهم . هاتي ، هاتي ... ترى ماذا أذكرك المعجوة والبيض .. لا ، لا ، لا .. هذا لا يكفي ... إني أتضور جوعا ... أكثرى ، أكثرى »

فتقول « معدتك تلفت ... يكفي هذا المقدار »

فأصيح : « لا لا ... على رأي العامة « هم ، وقلة هم ! » هاتي ، ولا تخافي »

فتقول : « هل معنى هذا أنك ستعطيني ما طلبت ؟ »

فأصيح « يا ستي خذي ما شئت ... كلتي لك ... ولكن هاتي من هذا وأكثرى »